والآمر بالملائكة ان كل واحد منهما قد سعى سعياً شابه من التحق به
فان الدالة يستعملها مالكها في مصالحه ويقوم في طعامها وشرابها و
ما تحتاج اليه ومع هذا فمن نظر في الامر بعين البصيرة وتأمله حق
التأمل وجد عيش من شغل نفسه بالطاعة وفرغها للعلم ولم يلتفت الى ما
تدعو اليه الحاجة من امر دنياه ازكى وحاله اقوم وسروره اتم و مطلب
تلك حكمة الله البالغة التي تبين عندها انه لن يعدو المرء ما قدر له
ولن يفوته ما كان يدركه وكما ان هذا المعنى الذي ذكرناه ثابت في
الشريعة مصرح به في غير موطن منها قد اجراه الله على لسان الجبابرة
من عباده وعتاة امته حتى قال الحجاج ابن يوسف الثقفي في بعض
خطبه ما معناه ايها الناس ان الله كفانا امر الرزق وامرنا بالعبادة
فسعينا لما كفيناه وتركنا السعي للذي امرنا به فليتنا امرنا بطلب الرزق
وكفينا العبادة حتى نكون لما اراده الله منا هذا معنى كلامه الفظه
فلما بلغ كلامه هذا بعض السلف المعاصرين له قال ان الله لا يخرج
الفاجر من هذه الدار وفي قلبه حكمة ينتفع بها العباد الا اخرجها منه
وان هذا العلم اخرجه من الحجاج فانظر هذا الجبار كيف لم يخف عليه هذا
الامر مع ما هو فيه من التجبر وسفك الدماء وهتك الحرم والتجري على الله
وعلى عباده وتعدي حدوده فما احقه بان لا يخفى على من هو ابعد منه
قلباً واقل منه ظلماً واخف منه تجبراً واقرب منه من خير والبعد منه
من شر وان من تصور هذا الامر حق التصور وتعقله كما ينبغي انتفع
له انتفاعاً عظيماً ونال به من الفوائد جسيماً والهداية بيد الهادي
جل جلاله وتقدست اسماؤه وان حسن النية واخلاص العمل تأثيراً
عظيماً في هذا المعنى فمن تعكست عليه بعض اموره من طلب العلم او
كدرت عليه مطالبه وتضايقت مقاصده فليعلم الله ان ذلك محنة له و
وبعدم اخلاصه عن قبل اوانه اصيب بشيء من ذلك
ابتلاء

ابتلاءً واختياراً لينظر كيف صبره واحتماله ثم يفيض عليه بعد
ذلك من خزاين الخير ومخازن العطا ما لم يكن في حسابه ولا يبلغ اليه مطلب
تصوره فليعض على العلم بناجذه ويشد عليه يديه ويصبر ويصابر ٤٤
به صدره فانه لا محالة واصل الى المنزل الذي ذكرناه نائل المرتبة
التي بيناها وما احسن ما حكاه بعض اهل العلم عن الحكيم افلاطون
فانه قال الفضايل مرة الاوائل حلوة العواقب والرذايل حلوة
الاوايل مرة العواقب ولقد صدق فان من شغل اوائل عمره وعنفوان
شبابه بطلب الفضايل لا بد له ان يفطم نفسه عن بعض شهواتها
ويحبسها عن الامور التي يشتغل بها اترابه ومعارفه من الملاهي
ومجالس الراحة وشهوات الشباب فاذا انتهى اليه ما هم فيه من
تلك اللذات والخلاعات وجد في نفسه بحكم الشباب وحداثة السن
وميل الطبع الى ما هناك مرارة واحتاج الى مجاهدة نيرها ح طبعه
ومتفلتات هواه ومتى ثب نشاطه لا يتم له الا بالجام شهوته
بلجام الصبر وربطها بمربط العفة وكيف لا يجد مرارة الحبس للنفس
من كان في زاوية من زوايا المسجد ومقصورة من مقاصير المدارس لا
ينظر الا في دفتر ولا يبحث الا في فن من الفنون ولا يتحدث ه
الا الى عالم او متعلم واترابه ومعارفه من قرابته وجيرانه و
ذوي سنه واهل نشأته وبلده يتقلبون في رفاهة العيش
ورايق العيش واذا انضم لذلك الطالب هذه المرارة الحاصلة ه
له بعزف النفس عن شهواتها مرارة اخرى هي اعواز الحال وضيق المكسب
وحقارة الدخل فانه لا بد ان يجد من المرارة المتضاعفة ما يعظم
عنده موقعه لكنه يذهب عنه ذلك قليلاً قليلاً فاول عقدة
تنحل عنه من عقد هذه المرارة عنده ان يتصور ما يؤل به الامر

Copyright © King Saud University